الرُّتَب الكهنوتيّة

في الطائفتين المارونيّة والسريانيّة

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

٦

٦ طقس سيامة الحبر (تابع)

عند سيامة الاسقف يدخل البطريرك مع اسقفين الى مقصورة البيعة ، وقد انقضت صلاة الساعة الثالثة ، ويرخى الستر او يغلق الباب . فيقبل المنتخَب يمين البطريرك قائلاً : بارخمور . وحينئذٍ يجعل البطريرك قلنسوة جديدة على راس المنتخب ويلبسه القميص والبطرشيل العريض والزنار والكتين والمصنفة والغفارة[1] ثم يحثو البطريرك ، ويحثو معه الاساقفة احتراماً له امام المنتخَب ، فيقول له البطريرك بالسريانية : « روح القدس يدعوك لتكون اسقفاً على مدينة كذا » . فيخرّ المنتخب على وجهه ساجداً بين يدي البطريرك ، قائلاً بالسريانية : « سمعاً وطاعةً » . فيسمه البطريرك في جبهته بسمة الصليب قائلاً : « ليباركك الرب » الخ . فينتصب المنتخَب قائماً الى جانب المذبح[2] . ويبدأ البطريرك بالقداس . وعند وصوله الى الرفعة يغسل اصابعه كالعادة وينزع اسقفان عن المنتخَب الغفارة ويقدّمانه نحو المذبح ضاماً يديه الى صدره . ويستوي البطريرك على عرشه ، ويحفّ به اسقفان من الجانبين ، ويبدأ بالصلوات والمزامير[3] والالحان قائلاً بالسريانية : « المجد للآب » الخ . ثمّ : « اهلنا ايها المسيح الهنا » الخ . ثم : وطّد يا ربّ بيعتك » الخ . فزمور « ارحمني يا الله » وابياته . فالحتاي : « لملك

١) يعوّض عن الغفارة في الطقس السرياني بطيلسان احمر يلقيه البطريرك على هامة المنتخب

٢) الاسقف السرياني يقف محتجباً وراء المذبح

٣) لم يثبت السماني الا زمور « ارحمني يا الله » . وقول المجمع اللبناني « المزامير » يشير الى ما يتلى من المزامير والالحان عادة في اول الرتبة .

الملوك وسيد السادات » الخ . فاربعة ابيات سريانية بلحن [illegible] . فالمطران : « اقبل يا رب برحمتك وعطفك الخ . »[1] . وينادي الشماس المناداة . ويصلي البطريرك سرًا : « يا رب القوات » الخ . ويجهر : « واقبل برحمتك »[2] .

ويطوف اذ ذاك بالمنتخب اسقفان حول المذبح . واذا وصلوا الى الناحية الجنوبية يجثو المنتخب على ركبتيه ، ويأمره البطريرك ان يقرأ صك اليمين وصورة الاعتراف بالايمان اعني الاومولوغيا ويكون قد سبق المنتخب فكتبه بخط يده فيقول : « انا الحقير فلان بن فلان المتدب بنعمة الله من درجة القسيسية الى درجة الاسقفية » الخ . وعند نهايته من قراءته يختمه بامضائه ويدفعه الى السيد البطريرك ليصونه في الخزانة البطريركية .

وبعد هذا يمسك احد الاسقفين بيمين المنتخب والآخر بيساره ويأتيان به نحو البطريرك ، ويقول له احدهما : « تقدم لقداستك » الخ . فيأمره البطريرك فيجثو على ركبتيه ، فيضع البطريرك يمينه على راس المنتخب قائلًا : « النعمة الالهية » الخ . ويختمها بقوله ثلاثًا : « امنحه يا رب » الخ . وينادي رئيس الشمامسة المناداة .

ثم يضع البطريرك يديه على الجسد وعلى الدم الخ . كسيامذ الشماس والقس ويصلي سرًا : « نعم ايها الرب الاله اهله لدعوة الاسقفية » الخ . ويجهر : « ويمجد الرحمة » . ثم يلتفت نحو المنتخب ، ويرفع فوق هامته ، وينشر اسقفان كتاب الانجيل مفتوحًا عند الفصل العاشر من يوحنا[3] فوق يدي البطريرك ويلوح الشمامسة بالمراوح فوق كتاب الانجيل . فيرفع البطريرك يديه ويبسط ذراعيه ثلاثًا فوق راس المنتخب ويصلي سرًا : « اللهم يا من زين بيعته بهؤلاء الاحبار » الخ . ويلتفت الى المذبح ويجهر : « بنعمتك ورحمة » الخ . ثم يقول : « السلام لجميعكم » . ويقول الاكليروس : « ومع روحك » . ثم يجعل يده على الاسرار وعلى راس المنتخب ويتبع قائلًا : « يا اله الالهة وسيد السادات

١) وردت هذه الصلوات باجمعها في طقس سيامذ القسيس .
٢) هذه الصلاة منقولة عن رسامة الغاري والرسالي .
٣) يفتح الانجيل عند الفصل الرابع من لوقا . الدوجي : ١٦٥

المحتوي على المركبة » الخ . فيهتف كبير الشمامسة : « فلنقف كلنا بالصلاة » الخ[1] . ويضع البطريرك يده على الاسرار وعلى راس المنتخب قائلاً سراً : « تباركتَ ايها الرب الاله » الخ . ثم ينهضه ويرفع الاسقفان كتاب الانجيل فيلتفت البطريرك الى المذبح ويقول : « ألقِ اللهمَّ الينا سمعك » الخ . ويلتفت نحو المنتخب ويضع يده على راسه قائلاً : « انظر الينا في هذه الساعة » الخ .

وحينئذٍ تكون الدورة فيمشي القسوس والشمامسة بحسب العادة . ثم يمرّ احد الاسقفين حاملاً إناء الميرون ، والآخر كتاب الانجيل ، ثم المنتخب حاملاً صليبين احدهما بيمينه والآخر بشماله . ويطوفون في الكنيسة ثلاثاً وينشدون اولاً : ܚܢܢܝܐ ܘܡܪܚܡ ܐܢܬ ܐܠܗܐ الخ . وثانياً : ܟܪܝ ܐܠܗܐ ܕܟܠ ܚܝܠ الخ . وثالثاً : ܘܐܡܪ ܠܗ ܩܕܘܫ ܩܕܘܫ الخ . وعند نهاية الدورة الاولى يجثو المنتخب على ركبتيه امام البطريرك فيصلي : « بسلطان كلمتك » الخ[2] . وعند نهاية الدورة الثانية يخرّ المنتخب على ركبتيه امام البطريرك ، ويمسك الاسقفان بكتاب الانجيل مفتوحاً فوق راسه ، ويلوّح الشمامسة بالمراوح فوق الانجيل . فيمدّ البطريرك ذراعيه تحت الكتاب ويرفّ بيديه ثلاثاً فوق راسه ويصلي : « ايها الرب خالق الجميع » الخ .

وفي نهاية الدورة الثالثة يدخلون جميعاً الى المذبح . فياخذ البطريرك الصليبين من المنتخب ، وهذا يجثو على ركبتيه ، فيدفع اليه البطريرك كتاب الانجيل مطوياً وهو يقول : « يا ملك الجميع الله الآب » الخ . ثم يأخذ منه الانجيل قائلاً : « انت ايها الرب الاله الضابط الكل » الخ . وفي هذه الصلاة يذكر الاباء الاولين كهابيل وشيث وآنوش الخ .

---

١) لا اثر لهذه الكرازة في النسخ المارونية (دربان : ١٥٠ و١٥١) والكرازات في سيامة الاسقف يجب ان يعلن بها الاساقفة لا رئيس الشمامسة .

٢) نص المجمع اللبناني (٢٧٦) والنسخ القديمة ان الاساقفة جميعاً يضعون اليد مع البطريرك على راس المنتخب ويتلون معه : « بسلطان كلمتك » الخ . وقد ذكر اقليمس الروماني (عدد ٢٠) ما يؤيد ذلك . اما في الطقس السرياني فلا يتولى وضع اليد الا البطريرك وحده .

ثم يمسح البطريرك راس المنتخب ثلاثاً بالميرون شكل صليب قائلاً : « ارتضِ الآن ايها الرب الخ » الخ . ثم يدهن راحتيه بالميرون ايضاً راسماً خطين احدهما من ابهام يمين المنتخب الى سبابة شماله والآخر من ابهام شماله الى سبابة يمينه . ثم يضمّ هو يدي المنتخب كلتيهما قائلاً : « وامنحه ايها الرب القادر » الخ . ثم يقول البطريرك : ܗܘ ܐܚܝ ܘܐܚܘܢ ܕܐܠܗܐ الخ . ويتلو رئيس الشمامسة : ܚܢܢ ܕܐܠܗܐ ܐܒ ܒܪ الخ . وتقرأ الرسالة من (عبر ٤ : ١٤ — ١٦ و ٥ : ١) . وينشدون الهلال : ܗܐ ܡܫܝܚܐ ܕܐܬܐ الخ . ويتلو البطريرك الانجيل من (يو ١٠ : ١ - ٢١) . ويغسل البطريرك يديه والمنتخب راسه ويديه . وينشد رئيس الشمامسة : « ايها المسيح اله جميعنا » الخ .

وبعد هذا يضع البطريرك يمينه على راس المنتخب الجاثي على ركبتيه ، ويسمه ثلاثاً بسمة الصليب ، وينادي بصوت رخيم بالسريانية : ܐܬܐ ܒܫܡ اي يرتقي في بيعة الله المقدسة . فيردف احد الاساقفة : « فلان استقفاً لبيعة المدينة الفلانية . الرعية المباركة » . فيقول البطريرك . « فلان استقفاً لكنيسة الارثذكسيين المقدسة التي سبقت فاشتهرت » . فيقول الاساقفة : « بارخمور » . فيستتلي البطريرك : « بسم الآب ✠ والابن ✠ والروح ✠ القدس الى ابد الابدين » . وعند ذكر كلّ من الاقانيم المقدسة يقول الشعب : آمين .

ثم يمسكه البطريرك بيمينه وينهضه قائلاً : « كيريولوجيون »[1] . فيجاوب الشعب : « توريالیسون » وحينئذٍ يفيض البطريرك على الموسوم النفارة قائلاً بالسريانية : « لمجد واكرام » الخ . وينشد الترنيمة عينها ويلبسه التاج ويتبعه في الترنيمة الاساقفة ولفيف الاكليرس .

ثم يجلسونه على كرسي جميل ، ووجهه الى الغرب ، فيحمل الكرسي الاساقفة والقسوس ويرفعونه ثلاثاً ويهتف البطريرك : « اكسيوس » ويجاوبونه كذلك . ثم يدفع البطريرك الى الموسوم عصا الرعاية قائلاً بالسريانية : « عصا العزّ » الخ . ويصرخ الاساقفة والقسوس مثله . ويصلي البطريرك : « ايها الربّ

١) ذكر العلّامة السمعاني ان احد الاساقفة يقول كيريولوجيون ثلاثاً .

الذي اعطى موسى » الخ . ثم يأتي به الى المذبح ويكل اليه القطيع ، ويوليه الرئاسة على جميع الكهنة والشمامسة والكنيسة ، وعلى جميع الاسرار ، ويوصيه جهراً قائلاً : « حبيبي ها انا ذا اقول لك » الخ . ثم يلتفت الى المذبح ويتلو صلاة الشكر : « نشكرك ايها الرب يسوع » الخ . ويختم : « ايها الآب الصالح الرحيم » الخ .

ثم ان الاسقف الجديد يقبّل المذبح ، ويعين البطريرك . فيقبّل البطريرك والاساقفة وجهه ، والاكليروس يلثمون يده[1] .

ونكرّر ان رتبة سيامذ الاسقف هذه في الطقس الماروني مقتضبة من الرسامات الصغيرة او المقدّسة كما يتضح جلياً لمن يعارضها . اما سيامذ الاسقف في الطقس السرياني فهو ذات سيامذ البطريرك كما المعنا ، ما عدا صلاة دعوة الروح القدس المنسوبة الى اقليميس الروماني ، وتسليم العصا البطريركي ، كما سنذكر .

رتبة تبريك البطريرك

البطريرك [illegible] ، ويقال له ايضاً [illegible] ابو الرؤساء ، واحياناً [illegible] الاب العام ، وتسمّى رتبة تبريكه [illegible] او [illegible] كمال الكمالات ، لانها خاتمة الرتب والتبريكات الكهنوتية .

ورتبة سيامذ الاسقف وتبريك البطريرك واحدة في الطقس السرياني ، الّا انها تمتاز عن سيامذ الاسقف بثلاثة امور ، على ما جاء في النصوص المارونية والسريانية ، وهي ١ً : ان البطريرك يُنتخَب بقرعة جميع الاساقفة او بتسليمهم العام لانه ابو الآباء والاب العام للبيعة بأسرها . ٢ً : بصلاة دعوة الروح القدس المنسوبة الى اقليميس الحبر الروماني . ٣ً : بتسليمه عصا الرعاية ، اذ يمسك بها كلّ من الاساقفة معاً يداً فوق يد ، حسب مقامهم ، ثم يأخذون عين المنتخَب

---

١) الدوجي : ١٦١ و١٦٣ .

ويضعونها فوق ايديهم جميعاً ويتركونها بيده . وعليه فعندما يكتب البطريرك صكّ ايمانه ويتلوه وقت التبريك لا يتعهد فيه بالطاعة والانقياد لمن يرسمه كما يفعل الاساقفة ، لانهم لا سلطان لهم عليه .

وقد اثبت المجمع اللبناني (٤٢٣ — ٤١٣) ومجمع الشرفة (٢٣٥ — ٢٤٩) حقوق البطريرك وسلطانه ، وامتيازاته ، وواجباته ، وزيّه ، ومركزه . واخصّ ذلك : ان للبطريرك الماروني والسرياني حق التسمية بالبطريرك الانطاكي . وله المقام الرابع بعد الحبر الروماني . ويتقدم على جميع جاثليق كنيسته ومطارنتها واساقفتها . وله ان تسير امامه راية الصليب في ابرشيات طائفته جمعاء . وينادى باسمه بعد الحبر الروماني في القداس والطقوس والفروض القانونية . وله ان يرسم الجاثليق والمطارنة والاساقفة التابعين لبطريركيته . ويباشر الرتب الحبرية في جميع كنائسهم ، ولو بحضورهم . وللبطريرك ان يفرض اعياداً واصواماً . ويفحص كتب الرتب الكهنوتية والفروض البيعية ويهذّبها ويضيف اليها او يحذف منها . ومن حقوقه الخاصة ان يكرّس الميرون ، والكنائس ، والمذبح (الطباليث) ، او يفوّض في ذلك الى احد اساقفته . وله ان يعقد مجمعاً مؤلفاً من جميع مطارنة بطريركيته واساقفتها . ويسنّ قوانين يلزمهم بالعمل بها . ويبعث اليهم بمناشير يذيعونها في كنائسهم . وله ان يزور الابرشيات ، ويراقب اديار الرهبان والراهبات . ويستأنف النظر في جميع الدعاوي فيؤيدها او يبطلها . وله ان يحفظ لنفسه مسائل لا يستطيع ان يحلّ منها المطارين والاساقفة . وله ان يطالب مرؤوسيه كافةً بالعشور . انما ينبغي ان لا يأتي شيئاً خطيرًا مهماً بالاستئثار ، من دون مجمع اخوته الاساقفة والمطارنة ، كما لا يسوغ لهم ان يباشروا شيئاً من ذلك بغير معرفته . وينبغي كذلك ان يزور في كل عشر سنين الاعتاب الرسولية بنفسه او بمعتمده ، ويؤدي له حساباً عن وظيفته الرعوية الخ .

اما زيّ البطريرك العادي فكزي الاساقفة ، الّا انه يمتاز عنهم بالثوب الارجواني ، والجبة البنفسجية ، وبمسك العصا اينما كان . اما زيّه البيعي فكزي الاساقفة ايضاً ، غير انه يمتاز عنهم بالتوشح بالباليوم ، اي الدرع ، الذي يمنحه

اياه الجبر الروماني تثبيتاً له في منصبه ودلالةً على بسطة الوظيفة الجبرية[1] .

اما المركز البطريركي فقد تحوّل عند كلتا الطائفتين من بلدة الى بلدة ، حتى اصبح اليوم مركز البطريرك الانطاكي الماروني في بكركي شتاء وفي الديمان صيفاً . واما مركز البطريرك الانطاكي السرياني في بيروت . وللبطريرك ان يتخذ له في مركزه اسقفاً او اسقفين بمنزلة معاونين او نائبين يتولى احدهما الامور الروحية ، والآخر الشؤون الدنيوية .

انتخاب البطريرك

اما كيفية انتخاب البطريرك فقد اثبتها كلا المجمعين على حدّ سوى . ذلك من حيث المكان والزمان واجتماع الاساقفة والقاء القرعة . وخلاصة ما قرّاهُ : ان لا ينتخب بطريركاً الّا من اتى على الاربعين من سنّه ، وترقّى الى درجة القسيسية المقدسة على القليل . ولا يتم انتخابه الا باصوات الحاضرين من الاساقفة . وتكون الآراء سرّية مطوية في رقاع مسجّلة ختماً وتوقيعاً من كل واحد منهم . وعند فتحها وتلاوتها لا يُباح باسماء المنتخبين .

ومتى تمّ فحص القرعة ، وكان الانتخاب شرعياً بالقرعة او بالصوت الحيّ ، لزم رئيس المجمع او كبير الآباء ان يعلنه بقوله : « ايها الآباء الفائقو الاحترام قد أتينا على فحص القرعة فألفينا هذا المجمع المقدّس مجمعاً على انتخاب السيّد فلان السامي الاحترام أباً وبطريركاً . وعليه فاني اعلن باسم المجمع كلّه وبالسلطان المفوّض اليّ منكم جميعاً واشهد ان الانتخاب قد اصاب السيد فلان السامي الاحترام فهو ابٌ وبطريرك لنا كلّنا والطائفة بأسرها » .

وبعد هذا يتقدم الرئيس بالاسقفين وكاتبي الاسرار الى المنتخب ، فيجثو

---

(١) الدرع البطريركي او الاموفوريون على ضربين احدهما منسوج من صوف ابيض معلم بصلبان سوداء يوليه البابا الروماني للبطريرك فيتوشح به في المواسم . والآخر عريض طويل على شكل البطرشيل الحبري الكبير منسوج من حرير موشى ومعلم في الغالب بصلبان حمراء . وهذا يتقلده البطريرك بعد نصبه حالاً لانه من جملة الملابس البطريركية في جميع الاحتفالات المقدسة كل مرة اشتمل بالملابس الحبرية (المجمع اللبناني ٤٣٩) اما السريان فان اساقفتهم وبطاركهم يتوشحون دائماً بالاموفوريون كلما قرّبوا الذبيحة الالهية ، او احتفلوا بالاحتفالات البيعية .

بين يديه قائلاً : « ان الروح القدس يدعوك لتكون بطريركاً على انطاكية الكبرى وعلى كل خطة سدتها الرسولية اي اباً لجميعنا » . فيبحث سائر المنتخبين وكاتبا الاسرار وعندها يحث المنتخب ايضاً ويصلي قليلاً ثم يجاوب : « اني راض مطيع » . ثم يقوم ويلبسونه ، ان كان اسقفاً ، الففارة (والاموفوريون) وصليب الصدر والتاج . ويدفعون اليه الصليب والعكاز فيسير بين كبيري الآباء ويستوي على العرش الى يمين المذبح ويتقدم الاساقفة بالترتيب ويقبلون يمينه . ويحرر كاتبا الاسرار صك الانتخاب والقبول فيوقع عليه جميع المطارنة والاساقفة المنتخبين بخط يدهم ويحفظون الصك في الخزانة البطريركية .

ثم تفتح الابواب ويعلن كبير الشمامسة بأمر الانتخاب فينحدر المنتخب من على العرش ويقف امام المذبح المتوسط ويحف به الاساقفة . فيشرع كبير الشمامسة في الطقس الماروني بترتيل المزمور[1] « يستجيب لك الرب في يوم الشدة » ويتبعه الباقون منقسمين الى جوقين . وعند الفراغ يطأطئ المنتخب رأسه امام المذبح ثم يلتفت اليهم وهم جاثون ويباركهم[2] . ويقفون ويقبلون يده بالتتابع ثم يخرجون من الكنيسة بالاناشيد الى القلاية البطريركية . ويضرب المنتخب اقرب يوم من الآحاد والاعياد التالية موعداً للاحتفال بنصبه .

وعند الفراغ من التنصيب ، يرفع الاساقفة في ذلك عريضة الى الحبر الروماني مذيلة بتواقيعهم ويستعطفونه ليصدق على الانتخاب بسلطانه الرسولي ويثبت المنتخب ويبعث اليه بالباليوم . وينبغي ان يكتب المنتخب ايضاً الى الحبر الاعظم رسالة موقعة بخط يده ومختومة بالطابع البطريركي يضمنها صورة نص اعترافه بالايمان الارثوذكسي ومعرفته اياه خليفة للقديس بطرس ونائباً للمسيح الرب في الارض ، وكرئيسه الاعلى ، ويبدي له الطاعة التامة ، ويسأله تثبيت انتخابه ونصبه ، وارسال الدرع اليه . (له صلة)

---

١) الاكليروس السرياني ينشد احدى قطعه

٢) المنتخب الماروني يفيض على الحاضرين الحلة الصوفية قائلاً : « ليرحمكم الله وينفر ذنوبكم » الخ . اما المنتخب السرياني فيقول جميعهم هكذا صلاتهم الخ . وهي خاتمة الصلوات الفرضية .